

بناء الشخصية في قصة "أم هاني والبئر المزابي للسعيد بن زرقة"
Character building in the story "Umm Hani and the Mozabi Well by
Al -Saeed Bin Zarqa"

* عز الدين لخضر الزين

Azzedine Lakhdar ezzine

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية

جامعة علي لونيسي - البليدة 2 (الجزائر)

Ali Lounissi University Blida2 (Algeria)

azzedineezzine06@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/02	تاريخ القبول: 2024/10/22	تاريخ الإرسال: 2024/03/21
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

نحاول في هذا البحث الكشف عن بنية الشخصية في قصة أم هاني والبئر المزابي للسعيد بن زرقة، وذلك من خلال تقديم الشخصيات بمختلف أنواعها، ومظاهر تشكّلها السيكولوجية والفيزيولوجية، إضافة إلى أهم وظائفها وفقاً لمحور التقابلات سواء بين الثبات والتحول، أو بين الشخصيات الجادة والشخصيات الساخرة، و انتهاءً بالبنية العنصرية التي ساهمت في تركيب العمل السردى داخل القصة.

الكلمات المفتاحية: شخصية، عامل، أبعاد، بنية، سرد، وظيفة.

Abstract:

In this research, we are trying to reveal the structure of the character in the story of Umm Hani and the Mozabi Well by Saeed Ben Zarqa, by presenting the various types of characters, and the aspects of their psychological and physiological formation, in addition to their most important functions according to the axis of contrasts, whether between stability and transformation or between serious characters and sarcastic characters, and finally With the global structure that contributed to the composition of the narrative action within the story.

Keywords: a personality, factor, dimensions, structure, narrative, function.

* عز الدين لخضر الزين: azzedineezzine06@gmail.com



المقدمة:

إن دراسة الشخصية في القصة الجزائرية هو مرآة تجسّد تلك الكتابة الآتية التي تُحاكي قضايا الناس؛ وتعتبر بنية الشخصية عبارة عن تقنية هامة، وآلية ضرورية في سبيل تحقيق قصة أم هانئ والبئر المزابي لأهدافها الدلالية، واستنطاق مكنوناتها من خلال تلك العلاقات التي تربط أهم شخصياتها، إضافة إلى الصراع الدرامي الذي تفرضه القصة، ولا يتأتى تجلياته إلى في خضم أحداثها، وعلى هذا الأساس اخترنا قصة أم هانئ والبئر المزابي كنموذج للدراسة والتحليل، وعليه جاءت إشكالية الدراسة كالآتي:

● كيف تجلّت بناء الشخصيات في قصة أم هانئ والبئر المزابي للسعيد بن زرقعة؟

وما هي أبعاد تشكّلها الفيزيولوجية والسيكولوجية؟

اعتمدنا في دراستنا هذه على معطيات الطرح الغريماسي في تعامله مع الشخصية عن طريق نموذجها العاملي، إضافة إلى وظائف فلاديمير بروب في دراسته للحكاية العجيبة؛ أي وفق المنهج البنوي؛ لأننا بصدد تحليل بنيات الشخصية، وإبراز مختلف أبعادها، إضافة إلى المنهج السيميائي فيما يتعلق بالبنية العاملية كونه ملائم للتعامل مع النص السردي.

أولاً: تقديم الشخصية وتصنيفاتها:

ارتبط مفهوم الشخصية بتطور المناهج النقدية الحديثة، كما أنها ذات أهمية كبيرة في مختلف الأبحاث والدراسات وذلك بوصفها عنصراً مهماً في السرد الروائي والقصصي، وجاء لفظ الشخصية في النقد الحدائي الغربي الذي تناول المصطلح ووضعه ضمن الدراسة والتحليل، واعتبر تودوروف من وجهة نظره اللسانية بأن الشخصية لا وجود لها خارج الكلمات، لأنها ليست سوى كائنات خارج الورق¹، وأما غريماس فقد أطلق عليها اسم "العوامل / الشخص"؛ أي أنه استبدل مفهوم الشخصية بمفهوم العامل، ويتركّب النموذج العاملي عنده من ست قوى: "كل قصة مؤلفة بطريقة خاصة وفقاً لست فواعل موزعة على مستويات ثلاثة"²، وتمثلت هذه القوى الستة في ثلاث محاور وهي: محور التواصل (المرسل: المرسل إليه)، ومحور الرغبة (الذات / الموضوع)، ومحور الصراع (المساعد / المعارض)، وأما في النقد العربي الحدائي، فيرى عبد المالك مرتاض بأن الشخصية عالم يكثر فيه التنوع؛ أي تنوع الأهواء والمذاهب والإيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع الإنسانية التي لا حدود لها في تنوعها واختلافها³، وتماشياً مع سبق فإن هذا التنوع يخص تنوع الأفراد، وكل شخص يتميز عن الآخر من حيث العادات والسلوك والطباع.

وأما تصنيفات الشخصية فإن هذه المسألة أثارت إشكالات متعدّدة نظراً لتعدّد واختلاف معايير التصنيف، إذ لكل ناقد وباحث طريقته في التحليل بحسب ثقافته وطبيعة النصوص التي هي محل الدراسة،

وقد توصل فلاديمير بروب في دراسته للحكاية العجيبة إلى سبع وظائف وهي: "المتعدي والشرير، والواهب والمساعد، والأمير والباحث، والبطل الزائف"⁵، وعليه فإن بروب درس الشخصية ضمن محورها الدلالي، وما تؤدبه من وظائف داخل المتن الحكائي، وأما غريماش فقد عمل على تطوير محاولات بروب ليصل إلى عمل أكثر وضوحاً، وقّص عدد الشخصيات إلى ستة وهي: المرسل، المرسل إليه، الموضوع، الذات، المساعد، المعارض، وسماه بالعوامل بدلاً بالوظائف⁶، وفي هذا السياق فإننا إذا تأملنا الشخصيات على مستوى البنية العميقة، فإن هذه العوامل تبدو كطبقة تميز بالتحول، فهي قيمة أساسية تتجلى فيها تلك الوظائف.

ثانياً: الشخصية في حدود الأنواع والأبعاد:

ومن المؤلفون أن تتنوع الشخصية القصصية في العمل القصصي، فالباحث ينظر إلى الشخصية في تقسيمها إلى شخصيات رئيسية أو محورية وشخصيات ثانوية مكثفة بوظيفة مرحلية، ويأتي هذا التصنيف على أساس ارتباط الشخصية بالحدث القصصي والروائي ككل، بحيث ينظر الباحث إلى أهمية الدور الذي تقوم به الشخصية في السرد، وعليه قُسمت الشخصيات إلى شخصيات رئيسية أو محورية، وشخصيات ثانوية مكثفة بوظيفة محلية⁷، فالشخصيات الرئيسية دورها الأساسي هو مساعدة القارئ في فهم طبيعة الخطاب من خلال البناء الدرامي، وبناء عليها يبنى أفق توقعاته وانتظاره لمسار الأحداث الذي من شأنه أن يدعم تقديراته وتقييمه الفني، فالشخصية الرئيسية هي نقطة استقطاب في العمل الحكائي، بحيث يمكن أن تكون ذات "أثر فعال في اشتغال الأحداث، وبهذا تكون الشخصية قادرة على توليد الأحداث والأحداث"⁸، وأما الشخصيات الثانوية فهي شخصيات متناثرة في كل رواية وفي كل قصة، تقوم بخلق الصراع وإثارة الحيوية، فدورها مساند في تحريك الأحداث وإبلاغ الرسالة، ويقول أنريكي أندرسون بخصوص هذا التصنيف: "توصف الشخصيات بأنها شخصيات رئيسية عندما يتسنى لها تأدية وظائف مهمة في تطوير الحدث، فيطراً على مزاجيتها وشخصيتها تغيير مفاجئ، وأما الشخصيات الثانوية فهي التي لا يطرأ عليها أي تغيير، وتصبح بذلك الشخصيات الرئيسية شخصيات مسيطرة مهيمنة، وأما الشخصيات الثانوية فتصبح شخصيات تابعة تسهم في إضفاء اللون المحلي للقصة"⁹.

وللشخصية أبعاد فيزيولوجية وسايكولوجية، ويشمل البعد الأول للشخصية شكلها الخارجي الذي يمثّل في الجنس وفي صفات الجسم المختلفة من بدانة وطول وقصر وعيوب¹⁰، ففي هذا البعد يقدم السرد فيه جملة من الملامح التي تتمثل في الملابس والشكل والقوة الجسدية، وأما البعد السايكولوجي فهو الآخر يعكس الحالة النفسية للشخصية، ويحدّد مدى تأثير الغرائز في سلوك الشخصيات من صراع أو ثنائيات متقابلة، كروح التسامح أو الانتقام، أو هي شخصية اجتماعية أو انطوائية.

ثالثاً: دلالة العنوان:

يعد العنوان أيقونة ذات دلالة خاصة، كما أنه يعتبر بعداً إيحائياً له دور مهم في عملية تأويل النص أو القصة، وعليه فإن عنوان القصة "أم هانئ والبر الميزابي" يحمل اسم شخصية محممة تعتبر من أهم الشخصيات المركزية التي تدور عليها الأحداث، ونجد العمل القصصي قائم على صفة الواقعية في وصفه للأمكنة، وما تلعبه من دور في تحديد كل الجوانب التي ترتبط بشخصية تلك المرأة، ويقدم السرد لنا تلك العلاقة بين شخصية أم هانئ والبر الميزابي، فهو يجسد ذلك التماثل الذي ينحصر بين المكان والشخصيات المحيطة به؛ أي بين بيت القصر العتيق وأهم صفاته، وبين أبناء القرية ومدى عقلية وثقافة السكان الذين يعيشون داخل هذا القصر.

رابعا: محور لسمات الشخصيات:

وتنتهي إلى هذه القصة شخصيات رئيسية أهمها: (الراوي)، وهي شخصية مركزية كونها مشاركة في كل الأحداث التي رواها الراوي فيما يتعلق بحاضره وماضيه، كما أنه يعتبر شاهدا على سلوك هذه الشخصيات أثناء وصفه لها، فهو صوت سردي ظهر بصيغة ضمير المتكلم، وأما الشخصية الرئيسية الثانية فهي: (عمي جحوط)، وتعتبر هذه الشخصية من أبطال شخصيات هذه القصة، فهي تمثل صورة المتفاني في العمل والمحبة للجميع، إضافة إلى حسن معاشرته، واستقامته وانتظامه أثناء تأدية عمله التجاري، فعمي جحوط كان بائعا للأعشاب في دكانه الخاص، وعليه ظهرت هذه الشخصية كمصدر إعجاب عند عامة الناس لحسن معاملته، وحبته للأطفال وتكزيمه عليهم بأنواع من بواكير الثمر.

وبخصوص هذه الشخصية نجد السارد يبرز الأبعاد الفيزيولوجية والسايكولوجية المتعلقة بهذه الشخصية، وفي الآن ذاته يحاول أن يعطيها صفة الإنسانية والواقعية، وهذا اجتهاد من الراوي في رسم هذه الشخصية، وإن البعد الخارجي أو الفيزيولوجي للشخصية يقوم على الملامح التي تبدو عليها الشخصية؛ أي: "البعد الجسمي والمظهر العام والسلوك الظاهري للشخصية"¹¹، وفي هذا السياق جاء على لسان الراوي ما يأتي: "لا زلت أتذكر.. وهو يقف مستقيما.. مثل النخلة السامقة"¹²، ثم يقدم وصفا خارجيا آخر وهو يصف ملابس شخصية عمي جحوط، وجاء هذا الوصف على لسانه فيقول: "واضعاً طربوشه الأحمر على رأسه، ولا بسا جبلي (تنشرت نلتش) وسروال اللوبياء، وحذاء زوزاي"¹³، ومن خلال عرض هذه الملامح الخارجية، فقد ظهر عمي جحوط على أنه رجل محافظ على عادات وتقاليد نابعة من أصول مزابية، فملاسه كشفت عن إيديولوجية معينة أثبتت عن الأصول التي ينحدر منها، وتقصد بالذات صورة الرجل الميزابي، وفي ذلك أيضا إيجاءات عن الالتزام والهبة، وأما الصورة السيكولوجية فهو المرأة التي تعكس الجانب الداخلي للشخصية؛ أي الجانب النفسي، "فالراوي وهو يروي أفعال وسلوكيات الحياة الداخلية للشخصية، ليس بالضرورة أن تعبر فيها الشخصية من خلال الكلمات والمفردات، وإنما يكشف مشاعر تلك الشخصية دون أن يصرح بذلك، أو ما تخفيه هي نفسها"¹⁴، وعليه فإن شخصية عمي جحوط هي شخصية رجالية، ومثلما تضمنت أوصافا خارجية فقد تضمنت أيضا أوصافا داخلية، وفي هذا السياق جاء على لسان الراوي ما يلي: "ونحن

أطفال نفرح ونسعد عند عودته من بني يزغون، لأنه يعود إلينا محملاً بأنواع من بواكير الثمر¹⁵، ويقول أيضاً: "كان يتكتم على كل الجيران بنصيب من هذا الفال"¹⁶، وانطلاقاً من هذه الشواهد يتضح لنا تتبع الراوي للحالات النفسية لهذه الشخصية، فهو يقدم سرداً لشخصية تتميز بطيبة القلب، كما أنه يمدنا بسبباً أخرى تتمثل في أن شخصية عمي ححوط تنسم بالكرم والجود، إضافة إلى ما يبدو عليه من أخلاق فاضلة، ويتجلى ذلك في معاملته الحسنة مع الأولاد والجيران، وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن هذه السمات هي جزء من مكونات نفسية، تتخفى خلف تلك المعالم الخارجية الظاهرة لهذه الشخصية.

وأما الشخصية الرئيسية الثالثة فتتمثل في شخصية (أم هانئ)، جدّة الراوي، وهي شخصية أنثوية اشتهرت بالحكمة، كما أنها شخصية تلفها البساطة والسخرية والإيجابية كونها سيدة المنزل التي يلجأ إليها الجيران وأبناء القرية للاستفسار في شؤونهم اليومية، وأما ملامحها السايكولوجية فتكسر فيها الابتسامة والضحك كبديل عن الحزن في الوسط الأسري والاجتماعي، ويصور لنا الكاتب هذه الملامح على لسانه في قوله: "أطلت أم هانئ وشاهدت الصور السريالية التراسية ثم ضحكت ضحكة هستيرية"¹⁷، فهذا الوصف بالذات يعكس تلك الحالة النفسية التي كانت عليها أم هانئ وهي تشاهد تلك الصور، كما أن الابتسامة تعكس معالم الجسم البادية وتقصّد بالتحديد الوجه، وتكرس أيضاً في هذه الملامح أسلوب السخرية، ويتجلى ذلك في قول الكاتب: "وقالت: الله يسترنا محابل، لو كان جينا مثل الهند بمليون دين، كان الشعب الجزائري كلا بعضو وخلص وانقرض من مدة"¹⁸، وتوضح شخصية أم هانئ من خلال هذا الشاهد بأنها شخصية ساخرة، ورغم أن الشخصية كانت تعيش في مجتمع تميز بالكآبة والانهارات العصبية، إلا أنها اتخذت من السخرية والضحك كبديل للتعبير عن مكنوناتها، وهي بذلك كانت حاملة لإيديولوجيا معادية لواقع أليم، فهي شخصية متحولة من السلب إلى الإيجاب، وفي سياق آخر يقول الكاتب على لسان أم هانئ: "خليكم من الثثرة والبلبله وحديث القهاوي، قوموا كرجل واحد ورموا البئر الميزابي"¹⁹، وتصنف شخصية أم هانئ من خلال هذا الشاهد بأنها شخصية اجتماعية نادرة بمواقفها الاجتماعية التي تبحث عن الاندماج بالآخر، فهي تحث الجميع على القيام والاتحاد والعمل على ترميم البئر، إضافة إلى مكوناتها النفسية ومنحها الفكرية في التعبير عما يخالجهما اتجاه أبناء قريتها، ونجد الكاتب قد وظف تقنية الكشف؛ أي أن الكاتب يتيح للشخصية بأن تكشف عن نفسها بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، فشخصية أم هانئ تمثل نموذجاً يشخص دور المرأة الناهض في المجتمع الجزائري، وعليه اتخذ الكاتب منها مخرجاً وحلاً في مواضع مختلفة، واتخذ السرد أبعاداً متعددة لإبراز شخصية أم هانئ مكتملة الأبعاد والجوانب، وكأنها أيقونة ذائعة فنيا لما تحمله من مجموع الخبرات النفسية في حياتها، وأما ملامحها الخارجية فأورد الكاتب على لسانه قائلاً: "ثم التفتت إليّ وبعين حمراء أردفت بصوت فيه أمر شبيه بالأوامر العسكرية"²⁰، وفي هذا إجماع من الكاتب على أنها شخصية مسنة تنسم بالحكمة والهبة والالتزام دون أن يحدّد أوصافها الخارجية بالتدقيق.

وظف سعيد بن زرقعة تشكيلة متنوعة من الشخصيات الرئيسية والشخصيات الثانوية ذات الملامح الجزائية، فهي قد تتنوع وتختلف من حيث انتماءاتها ووظائفها في المجتمع، إلا أنها تتوحد من حيث اختيار دلالة الأسماء لما تحمله من مدلولات ترتبط بالثقافة الشعبية الجزائرية، إضافة إلى كونها فئة محرومة لم تحالفها الظروف فكان مصيرها التهميش والاضطراب الاجتماعي ومآلها الضياع، وتنتمي إلى هذه القصة شخصيات ثانوية أهمها: شخصية الشيخ عيسى بيتي، وهو أحد مشايخ القرية، وفي هذا السياق يحاول السرد مرة أخرى بأن يضيف للشخصية طابعاً واقعياً، وذلك بوصف أبعاده الجسدية، وجاء على لسان الكاتب قوله: "وكان قصير القامة ككيف اللحية²¹"، ومن خلال هذا الوصف يمكننا أن نستحضر شكل الشخصية التي تتصف بالقصر، ثم يضيف السرد بعداً جديداً لشخصية الشيخ عيسى بيتي، ويتمثل في البعد السيكلوجي، فالكاتب يصور لنا هذه الشخصية ويقدمها على أنها النموذج الإنساني؛ فهو يحاول أن يخلصها من الإرادة الذاتية ويربط حياتها بالجماعة، وفي هذا السياق جاء على لسان الكاتب قوله: "كنا نسعد ونرقص فرحاً كلما أطل علينا الشيخ عيسى بيتي فنتسابق إليه²²"، وكأن الكاتب يطل على القارئ بذلك الظهور المفاجئ للشخصية التي كانت تغيب عن القرية، ما يولد الشوق والحنين لأهل القرية حبا في هذا الشخص، ثم يعطيه الكاتب دور الأبوة، ويضيف عليه بذلك طابع الكرم والرغبة في إسعاد الأولاد فيقول: "فنتسابق إليه ليغمرنا بالحلويات²³"، فالسرد هنا يحمل صورة صادقة تتمثل في صفة الطيبة وتجلياتها الإنسانية، فقد منح الشيخ عيسى بيتي الفرح والحب للأطفال، وفي هذا إشارة من الكاتب إلى منزلة الشيخ ودلالاته الإنسانية رفيعة القيمة، وأما الشخصية الثانوية الثانية فتتمثل في شخصية المعلم عيسى قدحة، ويعتبر الرجل معلماً للكاتب الذي يشهد له هو الآخر بالخير والفضل على أهل القرية، وسلط عليه الضوء كونها من الشخصيات التي لا يمكن التخلي عنها على مستوى أحداث القصة، واكتفى الكاتب بذكر ملمح خارجي للشخصية حين قال: "وما يفعله الرجل الطيب معلّم المكفوف عيسى قدحة²⁴"؛ أي أن عيسى قدحة كان رجلاً كفيفاً، كما أنه لم يظهر أي وصف للبعد النفسي لهذه الشخصية، واكتفى الكاتب بسرد جوانب من صفاته حينما كان معلماً في القرية، يشهد له الجميع على أنه رجل خلوق يتسم بطابع الصرامة والدقة في إنجاز أعماله، ويقول الكاتب في هذا الشأن: "وشاهدتُ لما لهذه الطينة الميزابية من أفضال²⁵"، وأما الشخصيات المساعدة التي تنتمي إلى هذه القصة فهي كآتي: الشيخ أطفيس، بابا عيسى، شايب التراس، حوّات، دادا، زروالي، عبد اللاوي، خليلي، حاج نوح، أمينلي داود، فهذه الشخصيات لا تؤثر في سير الأحداث، ولكنها تبقى فاعلة ومهمة كونها ترتبط بالشخصيات المركزية، فهي "التي لا تعدو أن تكون اسماً أو صفة معينة في القصة، ليس لها أهمية كبيرة أو دور مهم²⁶"، فالكاتب وهو يذكر هذه الشخصيات المختلفة فهو يجعل منها مجرد لواحق لإبراز شخصية أم هانئ التي تعتبر كشخصية مركزية تحظى باهتمام كبير على مستوى أحداث القصة، كما أن السرد لم يظهر أي وصف جسدي أو نفسي لهذه الشخصيات، واكتفى الكاتب بذكر هذه الأسماء على أنها أسماء ميزابية صنعت الأفراح داخل المدينة، كما أنها من سكان القصر

العتيق، وما يلاحظ أيضا فيما تحمله دلالات بعض هذه الأساء كونها أساء ساخرة لها علاقة بالحياة اليومية، والمحبة عندهم مثل: شايب الراس و دادا، وأما بعضها الآخر فهو مؤشر للهوية والانتماء، ومستوحاة من عمق الثقافة الميزابية مثل: خليلي، حوات، أمينلي واود، زروالي، فهي أساء موجودة في السجل الأول للألقاب في الجزائر سنة 1980 حسب خبير النسب والحسب جمال موهوي، وأما الشخصيات المعارضة فهي قوى معارضة تقف أمام الشخصية البطلة أو الشخصية الداعمة، وتحاول أن تعيق جهودها، وعليه فلم يأت على لسان الكاتب داخل هذه القصة أي شخصية معارضة، سوى استنتاجنا من خلال سير الأحداث وهي تدل على أصداء القصة، وأيضا بالهواجس التي شوشت على عالم الشخصيات مبرزة ذلك الصراع الذي كان بمدينة غرداية بين عامة الناس والسلطة، إضافة إلى ذكر بعض الشخصيات غير محددة الهوية، كأولئك المثلثين الذين حاولوا حرق الشعب، ويتأتى هذا على لسان الكاتب حين قال: "ثم تطورت بعد غصّ الطرق إلى دوبر بومبا والبازوكا إلى أن وصلت إلى مفرقات المثلثين والأشباح والتواعش"²⁷.

خامسا: محور التقابلات:

تتميز الشخصية عن باقي الشخصيات في إطار نظام التقابلات الذي يحدّد نط العملية السردية، ويقوم محور التقابلات على ثنائيات متضادة مختلفة الأنواع، يمكن من خلالها إدراك بني دلالية خاصة، وفي هذه القصة يمكننا رصد أهم الثنائيات التقابلية التي تساهم في إدراك الدلالات العميقة.

1. الشخصيات بين الثبات والتحول:

تتكيف الشخصية مع البيئة التي تعيش فيها، وكلما كانت تتفاعل معها كانت هذه الشخصية أقرب إلى الثبات، وتوضح مظاهر ثباتها من خلال الأسلوب والسلوك، إلا أنه هناك دلالات أخرى توجي إلى الاستمرارية في تطوير الشخصية من خلال مواقفها؛ أي أنها تتصرف بفعل في كل موقف أو موضع، ويقدم الكاتب في هذا السرد القصصي على أن شخصية أم هانئ هي شخصية ثابتة محافظة على مبادئها ومواقفها في تعاملها مع الآخر، إضافة إلى شخصيات عمي حجوط والشيخ عيسى بيتي، فهي الأخرى شخصيات يظهر فيها التميز بالثبات كونها متفردة ومتسقة مع ذواتها، ويتضح أيضا انسجام سلوكياتها مع قناعاتها، إضافة إلى مواقفها التي تناسبت مع أفعالها وأقوالها، ناهيك أيضا على أنها شخصيات إيجابية.

2. الشخصيات الجادة والشخصيات الساخرة:

يصور لنا الكاتب في هذه القصة الحياة الاجتماعية بكل تفاصيلها، فهو تارة يسرد جوانب من الماضي الذي يتعلق بهذه الشخصيات، ويحاول أن يقدم لنا هذه الشخصيات الجادة في مواقف محمية بالقوة والالتزام، وتارة يعطينا ذلك البعد الميتافيزيقي لبعض الشخصيات الساخرة حتى يفتح آفاق النص القصصي على تجارب غير مألوفة، كاستعماله لأسلوب السخرية، فمثلا شخصية عمي حجوط وشخصية المعلم عيسى قدحة، قد تميزتا عن باقي شخصيات القصة بالطيبة والأخلاق الحميدة والسلوك الحسن مع الآخر، ويأتي هذا في قول الكاتب: "كما لا

زلت أتذكر عَمِّي حُجُوط وهو يقف مستقيماً دون كلل أو ملل²⁸، وقال أيضاً: "وكان محلّه من أنظف المحلات ترتباً ودقة"²⁹، وعليه يتضح لنا بأن هذه الشخصيات كانت شخصيات جادة وإيجابية داخل سير أحداث القصة، على غرار شخصية العلم عيسى قدحة التي تعتبر شخصية موازية للمنحى الفكري والديني، ونموذجاً يشخص دور المعلم الناهض الواعي في المجتمع الجزائري، وأما شخصية أم هانئ فيمكن اعتبارها أبرز شخصية نسائية والوحيدة داخل هذه القصة، فهي شخصية نادرة بمواقفها الاجتماعية، وما ميزها أيضاً هو أسلوبها الساخر داخل المتن الحكائي، فهي شخصية تلفها البساطة والحكمة، وتأرجحت هذه الشخصية بين الجدية والسخرية باختلاف المواضيع والمواقف، كما أنها لعبت دور الأبوة من جهة ودور الأم من جهة أخرى، وهذا يدخل من ضمن حيل السرد في نطاق الانزياح عن المألوف والخروج عن العرف الاجتماعي.

سادساً: وظائف الشخصية:

إن للشخصية وظيفة ودور مهم في عالم المتن الحكائي القصصي، وبناء على وظيفتها يمكنها أن تتميز وتبرز وجودها، كما أنه تم تسميتها بـ "العامل" كعيار يقاس عليه كل عمل قصصي، فالعامل داخل السرد له دور أساسي في مستوى البنية العميقة، ويعد المصطلح غريباً كونه أول من أدخله في مجال السرديات، وسماه بالنموذج العملي، كما أنه يكشف عن طبيعته من خلال الوظائف السردية المتمثلة كالآتي:

– المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

– المساعد ← الذات ← المعارض

وتشكلت البنية العملية في قصة أم هانئ والبر الميزابي وفق تحديد الذوات والموضوعات، إضافة إلى بقية العوامل المشتركة التي ساهمت في تطوير العمل السردية، وعليه تتجلى هذه العلاقات المكونة لهذه العوامل كالآتي:

– المرسل ← الموضوع ← المرسل إليه

الخوف ترميم البر (سكان القصر).

– المساعد ← الذات ← المعارض

السخرية (أم هانئ) البلبلة والثرثر.

كما أنه تندرج تحت هذه التركيبة ثلاث محاور تنظم وفقها البنية العملية التي بدورها تحدد دور كل عامل وهي كالآتي:

1. المحور الأول: محور الإيلاج: المرسل / المرسل إليه

ويعتبر عامل المرسل دافعا ومحفزا للشخصية الذات (أم هانئ) التي سعت لتحقيق الاتصال بالموضوع وهو ترميم البئر، كما أن عامل المرسل يظهر كعامل غير مشخص فهو شيء معنوي إنساني، ويمكنه تمثيله بالشكل الآتي:

- العامل المرسل ← الخوف أو المحنة. - العامل المرسل إليه ← سكان القصر.

2. المحور الثاني: محور الرغبة: الذات / الموضوع

وتمثل شخصية أم هانئ في هذه التركيبة العائلية دورا عامليا يتجسد في عامل الذات، وأما الموضوع فهو يتناول قيمة اجتماعية (ترميم البئر)، فالشخصية الذات ترغب في إنجاز فعل الترميم من طرف السكان، ويمكن تمثيل هذه التركيبة كما يلي:

- العامل الذات ← أم هانئ. - العامل الموضوع ← ترميم البئر.

3. المحور الثالث: محور الصراع: مساعد/ معارض

وفي هذه التركيبة العائلية يتضح لنا عامل مساعد يتجلى في أسلوب السخرية الذي ساعد الشخصية الذات في تحريك قلوب سكان القصر العتيق، ورغبتها في ترميم البئر، وأما العامل المعارض فيتمثل في حديث المقاهي من بلبلة وثرثرة، وسعي أصحابها لإحداث الفتنة، إلا أنها هذا لم يحدث نظرا لتلك العلاقة الوطيدة بين الشخصية الذات والمرسل إليه في سبيل تحقيق الموضوع، ويمكن تمثيل هذه التركيبة كالآتي:

- العامل المساعد ← أسلوب السخرية. - العامل المعارض ← الثثرة والبلبة.

الخلاصة:

يمكن إيجاز أهم الاستنتاجات التي توصل إليها البحث في قصة أم هانئ والبئر المزاي فيما يأتي:

- عبرت هذه القصة عن مغامرات الكاتب الذي بدوره كان ولدا لحظه عاثر نتيجة الصراعات الاجتماعية والانهيئات العصبية والنفسية التي طالت كل فئات المجتمع القصراوي، إضافة إلى جدته أم هانئ التي اشتهرت بالحكمة، وأسلوبها الهزلي في إثارة السخرية بين عامة الناس بعيداً عن الجفاف العاطفي والتعقيد.

- الأساليب التي اعتمد عليها الكاتب داخل القصة، منها ما جاء بالتلاعب بالألفاظ، ومنها ما جاء بالتعابير اللاذعة، وقد طبع عليها أسلوب السخرية التي اتخذ منه الكاتب آلية دفاعية لمواجهة كل ما هو سلبي ومساعد لنشر الكآبة والحزن، فذلك يمنحه الحرية المطلقة في مجال واسع للتعبير عن مكنوناته.

- انقسمت الشخصيات في هذه القصة إلى شخصيات رئيسية وأخرى ثانوية، وبرزت شخصيات مساعدة وشخصيات معارضة نتيجة مؤثرات خارجية، كما أنها تنوعت بين شخصيات جادة وشخصيات ساخرة، وأخرى ثابتة وأخرى متحركة.
- مثل الكاتب شخصية المرأة المناضلة والحكيمة التي اتسمت بالشجاعة والقوة والإصرار في اتخاذ المواقف في جدته أم هانئ، وعليه كان حضورها واضحا ومطردا في القصة.
- استطاع الكاتب أن يكسر كل الحواجز والطابوهات المألوفة في سرده لمختلف الأحداث، وذلك باعتداده لأسلوب السخرية الذي رآه بأنه لغة جديدة تمنحه حرية التعبير بهدف توفير المتعة النفسية الأدبية وتحقيق في الآن ذاته لعملية الإبداع.

هوامش:

- ¹ تيزفطان تودوروف، مفاهيم سردية، (2005)، تر: عبد الرحمن مزيان، ط1، الجزائر، منشورات الاختلاف، ص.71
- ² سعيد ن كراد، طرائق تحليل السرد الأدبي، (1992)، ط1، المغرب، الرباط، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ص.185
- ³ ينظر، جريدة حماش، بناء الشخصية في حكايات عبود والجماح والجل، مقاربات السيميائيات، د ط، منشورات الأوراس، ، ص.81
- ⁴ ينظر، عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، (1998)، بحث في تقنيات السرد، الكويت، عالم المعرفة، ص.73
- ⁵ حميد لمحيدي، بنية النص السرد من منظور النقد الأدبي، (2000)، ط3، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، ص.27
- ⁶ إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، (2002)، د ط، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، ص.156
- ⁷ محمد الحسن مصطفى، الرواية العربية الموريتانية (مقاربة للبنية والدلالة)، ص.99 -
- ⁸ منصور النعمان، فن كتابة الدراما للمسرح والإذاعة والتلفزيون، (1999)، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، ص.99
- ⁹ ينظر، إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، (1998)، تونس، المؤسسة العربية للناشرين، طبع التعااضدية العالمية للطباعة والنشر، ص.212
- ¹⁰ محمد مهلال غنيمي، النقد الأدبي الحديث، (1997)، ط1، الأردن، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص.573
- ¹¹ عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في الرواية (ثرثرة فوق النيل)، ص.50
- ¹² سعيد بن زرقه، الزربوط، سرديات ساخرة، (2016) ط1، الجزائر، دار الساحل للنشر والتوزيع، ص.10
- ¹³ المصدر نفسه، ص.10
- ¹⁴ ينظر، جزار جينات وآخرون، نظرية السرد (من وجهة النظر والتبئير)، ص.108

- ¹⁵ . سعيد بن زرقعة ، الزربوط سرديات ساخرة، ص10.
- ¹⁶ . المصدر نفسه، ص12.
- ¹⁷ . سعيد بن زرقعة، الزربوط، ص12.
- ¹⁸ . سعيد بن زرقعة ، الزربوط، سرديات ساخرة، ص12.
- ¹⁹ . المصدر نفسه، ص13.
- ²⁰ . المصدر نفسه، ص12.
- ²¹ . المصدر نفسه، ص10.
- ²² . المصدر نفسه، ص10.
- ²³ . المصدر نفسه، ص10.
- ²⁴ . المرجع نفسه، ص11.
- ²⁵ . المصدر نفسه، ص11.
- ²⁶ . ينظر، شيبه (عيسى)، الاتجاه الواقعي في الأعمال القصصية لبهاء طاهر (مجموعة الخطوبة أنموذجا)، (2013)، بحث تكيلي لنيل درجة الماجستير، تخصص الأدب العربي والنقد الأدبي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ص139.
- ²⁷ . سعيد بن زرقعة الزربوط، ص12. -
- ²⁸ . المصدر نفسه، ص10.
- ²⁹ . المصدر نفسه، ص10.

قائمة المصادر والمراجع كتب باللغة العربية:

1. محمد القذافي رمضان، الشخصية نظرياتها وأساليب قياسها، (2001)، الاسكندرية، المكتب الجامعي.
2. سعيد بن كراد ، طرائق تحليل السرد الأدبي، (1992)، ط1، المغرب، الرباط، منشورات اتحاد كتاب المغرب.
3. جويده حاش، بناء الشخصية في حكايات عبدو والحاجم والجبل، د ط، مقاربات السيميائيات، منشورات الأوراس.
4. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، (1998)، الكويت، عالم المعرفة.
5. حميد حميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، (2000)، ط3، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي العربي.
6. إبراهيم عباس، تقنيات البنية السردية في الرواية المغاربية، (2002)، د ط، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال.
7. حمد الحسن مصطفى، الرواية العربية الموريتانية (مقاربة للبنية والدلالة).
8. منصور النعمان، فن كتابة الدراما للمسرح والإذاعة والتلفزيون، (1999)، الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع.
9. محمد مهلال غنيمي م، النقد الأدبي الحديث، (1997)، ط1، الأردن، نهضة مصر للطباعة والنشر.

10. عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في الرواية (ثرثرة فوق النيل).

11. سعيد بن زرقعة، الزربوط، سرديات ساخرة، (2016)/ ط1، الجزائر، دار الساحل للنشر والتوزيع.

كتب مترجمة:

1. تيزفطان تودوروف، مفاهيم سردية، (2005)، ط1، تر: عبد الرحمن ميزان، منشورات الاختلاف، الجزائر،

2. جيرار جينات وآخرون، نظرية السرد (من وجهة النظر والتبئير).

معاجم وقواميس:

1. محمد ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش.خ.ص)، (1119)، تح: عبدالله الكبير، محمد أحمد حسب الله، محمد

هاشم الشاذلي، القاهرة، دار المعارف.

رسائل ماجستير ودكتوراه:

1. عيسى شيبة، الاتجاه الواقعي في الأعمال القصصية لبهاء طاهر (مجموعة الخطوبة أمودجا)، (2013)، بحث تكميلي

لنيل درجة الماجستير، تخصص الأدب العربي والنقد الأدبي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.